

تاريخ النشر 2020/12/25

تاريخ القبول: 2020/06/17

تاريخ الارسال: 2020/06/15

علاقات تلمسان الثقافية بالخواضر الإسلامية

Relations Culturelles de Tlemcen avec les Cités Musulmanes



أ. د/ أرزقي شويتام

قسم التاريخ - جامعة الجزائر 2

الملخص: عرفت تلمسان عبر التاريخ أنها كانت مركزا من مراكز الإشعاع الثقافي في المغرب الكبير قاطبة. والسؤال الذي يتبادر إلى أذهاننا، عند اثار موضوع تلمسان، هو ما هي المؤهلات التي أهلتها لكي تقوم بدور متميز في المجال المعرفة والتحضر بصفة عامة في المغرب الكبير. وهذا ما نسعى اظهاره في هذه الدراسة، ويكون ذلك من خلال تحديد مختلف الروابط الثقافية والعلمية التي كانت تربط تلمسان بالخواضر الإسلامية مغربا ومشرقاً، مع ذكر تواصلها مع الخواضر الأندلسية في الفترة التي كانت تحت سيادة المسلمين إلى غاية سنة 1492م، تاريخ سقوط غرناطة آخر معقل للمسلمين في الأندلس، والسؤال الثاني الذي يثير انتباه الباحث، هل تأثرت الروابط الثقافية بين تلمسان والعالم الخارجي العربي الإسلامي، لاسيما تونس والمغرب الأقصى بالوضع السياسي العام الذي كان يتميز بالاضطراب الدائم وعدم الاستقرار؟ أم أن العلماء قد تجاوزوا كل الصعاب التي يمكن أن تعيق ذلك التواصل؟

كلمات مفتاحية: العلاقات، الثقافة، تلمسان، المغرب، الأندلس.

تاريخ النشر 2020/12/25

تاريخ القبول: 2020/06/17

تاريخ الارسال: 2020/06/15

Résumé :

Tlemcen est connue à travers l'histoire comme un centre de rayonnement culturel dans le Grand Maghreb. Quand on évoque Tlemcen, la question qu'on peut se poser quels étaient les facteurs qui l'ont prédisposé à avoir un rôle aussi important dans le domaine du savoir et civilisationnel. C'est ce que nous tenterons de connaître dans cette étude, en déterminant les différentes relations culturelles et scientifiques que Tlemcen entretenait avec les cités musulmanes Maghrébines, Orientales et Andalouses, à l'époque où elles en 1492, dernier étaient sous le règne des Musulmans jusqu'à la chute de Grenade rempart des Musulmans en Andalousie.

La deuxième question qui mérite une réponse est sans doute, les relations culturelles de Tlemcen avec le monde extérieur, en l'occurrence le Maroc et la Tunisie, étaient-elles affectées par la situation politique qui était caractérisée par des conflits et l'instabilité ? Est-ce que les hommes du savoir de l'époque avaient su comment surpasser toutes les difficultés qui pouvaient entraver le bon déroulement des échanges ?

Mots clés : relations, culturelles, Tlemcen, Maghreb, Andalousie

تاريخ الارسال: 2020/06/15

تاريخ القبول: 2020/06/17

تاريخ النشر 2020/12/25

مقدمة :

تعد ظاهرة انتشار الثقافة وازدهارها أحد المؤشرات الأساسية الذي يمكن من خلاله تحديد درجة تطور المجتمعات وتقدمها .فالثقافة بمفهومها العام، تعني الإبداعات الفكرية والفنية . وانطلاقا من هذا المعنى البسيط، فإن المجتمعات التي تمتلك رصيда ثقافيا، هي تلك التي تنفرد ببعض الصفات والميزات، التي قلما نجدها عند المجتمعات ذات الانتشار الثقافي المحدود .ومن جملة تلك الصفات، نذكر منها :استقامة سلوك أفراد المجتمع في معاملاتهم اليومية. انتشار ثقافة التسامح، ولغة الحوار بين أفراد المجتمع، مما يساعد على الاستقرار الداخلي، والذي يعد من الشروط الأساسية لتطور الدول وازدهارها، عقلانية الاستغلال للإمكانات المادية المتوفرة، التحلي بالذوق السليم والرفيع للأشياء.

الانفتاح على العالم الخارجي والتواصل معه، مما يسمح بتبادل الخبرات والمعارف والثروة المادية.

لمحة عن مكانة تلمسان الثقافية:

بعد هذه المقدمة، نحاول من خلال معالجتنا للموضوع الموسوم، ب " علاقات تلمسان الثقافية ببعض الحواضر الإسلامية"، أن نبرز بعض جوانب تلك العلاقات، لاسيما الفكرية والعلمية، والإمام بدور تلمسان الثقافي، وإسهامات رجالها في إثراء الثقافة الإسلامية مغربا ومشرقاً، وذلك عبر المراحل التاريخية الإسلامية المختلفة، مع التركيز على الفترة الزبانية لكون تلمسان أصبحت منذ عام 1553م، تحت الحكم العثماني إلى غاية الاحتلال الفرنسي للجزائر في عام 1830 م . ونظر الشعب الموضوع، فإننا سنكتفي بذكر بعض الحواضر الإسلامية البارزة التي كانت تتواصل مع تلمسان، مثل بجاية، وفاس، وتونس، والأندلس والمشرق العربي.

نالت تلمسان قسطا وافرا من الدراسات من قبل الرحالة الأوائل والباحثين المتأخرين .وقد يعود سبب هذا الاهتمام بها، إلى دورها في نشر

تاريخ الارسال: 2020/06/15

تاريخ القبول: 2020/06/17

تاريخ النشر 2020/12/25

الثقافة العربية الإسلامية، وإلى احتضانها لعدد كبير من العلماء والمتصوفين والطلبة. فقد تحولت تلمسان مع مرور الوقت إلى منارة للعلم وقبلة للعلماء والطلبة القادمين من كل أصقاع العالم.

لقد أهلا موقع تلمسان الجغرافي، لكي تكون إحدى الحواضر المركزية للثقافة الإسلامية في بلاد المغرب الأوسط منذ فترة متقدمة. فكانت بمثابة المحطة التي كان يمر بها رجال الفكر والثقافة، القادمين من المشرق صوب الأندلس والمغرب الأقصى أو المتوجهين من هذين الإقليمين إلى المشرق (بن معمر، 2005، ص104). كما أنها كانت نقطة التقاء لمختلف المسالك التجارية، فكانت تربط بين العالمين الأوربي والإفريقي (السودان الغربي). وبالرغم من أهمية الموقع الجغرافي الممتاز الذي كانت تحتله تلمسان على الخارطة الجغرافية، فإن ظهورها كمركز إشعاع ثقافي، قد تأخر بعض الوقت، ويمكن إرجاع ذلك إلى جملة من الأسباب الموضوعية، منها:

. وجود بعض الحواضر الإسلامية في المغرب التي استقطبت العلماء والطلبة، أمثال جامع القروان بتونس، الذي كان يعد من المؤسسات الدينية والثقافية الأولى التي ظهرت في بداية الفتح الإسلامي في منطقة شمال إفريقية، وجامع القرويين بفاس، وتيهرت عاصمة الرستميين.

. الحروب والصراعات المذهبية التي نشبت في المغرب الإسلامي بين الفاطميين والأمويين بالأندلس. فقد كانت تلمسان محل أطماع الأطراف المتحاربة. فكان كل طرف يسعى إلى مد نفوذه إليها. وقد تمكن الفاطميون من احتلالها في القرن 4 هـ / 10م. كما أن تلمسان تعرضت للاحتلال في عهد خليفة الفاطميين بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي (بن معمر، نفسه، ص105).

وبالرغم من كل الأحوال والظروف العvisية التي مرت بها منطقة المغرب عامة، فإن الإراhasات الثقافية بدأت تظهر للعيان في تلمسان، بعد أن احتضنت في القرن 4 هـ / 10م، أحد العلماء الجزائريين البارزين، ألا وهو أحمد

تاريخ الارسال: 2020/06/15

تاريخ القبول: 2020/06/17

تاريخ النشر 2020/12/25

بن نصر الداودي الأسدي .وبقدوم هذا العالم إلى تلمسان والاستقرار بها، تحولت المدينة إلى قبلة لطلبة العلم والعلماء، مما ساعد على انتعاش الحياة الفكرية والعلمية بها .فأصبحت مؤلفات الداودي في الفقه والحديث والأصول والعقيدة، بمثابة زاد للراغبين في التعلم والتفقه .وكان الداودي أول من وضع قواعد للمذهب المالكي بتلمسان .كما أنه كان من الأوائل الذين قام بشرح صحيح البخاري من خلال كتابه النصيحة .وزاول الداودي نشاطه العلمي والفكري إلى غاية وفاته في عام 402هـ/1012م، ودفن بباب العقبة بتلمسان، وأصبح ضريحه مزارا للناس (بن معمر، نفسه، ص106).

وقد تعزز دور تلمسان الثقافي في عهد المغراويين في القرن 5 هـ / 11م، وهذا ما يؤكد أبو عبد الله البكري في الجزء الذي خصصه لتلمسان في كتابه المسالك والممالك، إذ قال عنها " :إنها قاعدة المغرب الأوسط لها أسواق ومساجد ومسجد جامع، وأنها دار زناتة

ومتوسطة قبائل البربر، ومقصد لتجار الآفاق، وأنها لم تزال دارا للعلماء والمحدثين وحملة الرأي على مذهب مالك"(بن معمر، نفسه، ص109). وقد حظيت تلمسان ببعض المعالم الثقافية والدينية في عهد المرابطين والموحدين، إلا أن التطور الهام في المجال الثقافي، كان في عهد بني عبد الواد، الذين جعلوا منها عاصمة للمغرب الأوسط .ففي عهدهم شيدت عدة مدارس، منها المدرسة التي بناها أبو حمو موسى الأول، والمدرسة التي شيدها أبو تشفين الأول التي كانت تعد من أشهر المدارس في المغرب الأوسط .كما قام المرينيون أيام احتلالهم لتلمسان ببناء مدرستين (حاجيات، 1974، ص66). وقد عرفت الحركة العلمية في تلمسان في عهد أبي حمو موسى الثاني ازدهارا كبيرا، لكون هذا الأخير كان من رجال العلم، فتحوّلت إلى مركز إشعاع علمي يضاهي أهم مراكز المغرب الثقافية (حاجيات، نفسه، ص160)

تاريخ النشر 2020/12/25

تاريخ القبول: 2020/06/17

تاريخ الارسال: 2020/06/15

1. **طلب العلم** : تميز علماء ومثقفو المغاربة عامة بكثرة التنقلات إلى منابع ثقافتهم، لإثراء معارفهم، عملا بالقول القائل، "أطلب العلم ولو في الصين". فكان المثقفون والطلبة المغاربة يتنقلون بين أرجاء الأقطار العربية والإسلامية مشرقا ومغربا، لتوسيع آفاقهم العلمية والمعرفية. فكانوا يلزمون مشاهير العلماء والشيوخ في النوادي الثقافية المنتشرة في الحواضر العربية والإسلامية. وبعد التحصيل، يعود الطلبة والعلماء إلى أوطانهم لنشر علمهم ومعارفهم بين أبناء بلدهم. وهناك من كان يفضل البقاء والاستقرار في إحدى الدول الشقيقة، يتقلد بها منصبا معيناً، مثل التدريس والإفتاء والقضاء وغيرها (نور الدين، 1965، ص190).

2. أداء فريضة الحج : إن الوحدة والترابط

الذي كان يميز المغاربة خارج إقليمهم، يجعل المرء لا يشعر بأنهم جاؤوا من دول مختلفة، تفصلها الحدود السياسية. فكانت تلك الصلات بين علماء ومثقفي المغاربة، غالبا ما تتقوى خلال مراكب الحجيج، التي كانت

وقدم لنا ابن الوزان المغربي، وصفا عن الوضع الثقافي في تلمسان في مطلع القرن السادس عشر، قائلا "ويوجد في هذه المدينة بضعة جوامع جميلة معتنى بها بصورة حسنة ولها أئمة وخطباء. كما تحوي أيضا خمس مدارس بديعة حسنة البنيان... نجد فيها قضاة ومحامين والعديد من كتاب العدل، الذين يتدخلون في الدعاوى. ونرى فيها أيضا الكثير من الطلبة والأساتذة في مختلف المواد، سواء في الشرع أو في العلوم الطبيعية وتكفل المدارس أمر معيشتهم بانتظام... والطلاب هم أفقر الناس، لأنهم يعيشون في مدارسهم بصورة بائسة، ولكن بعد أن يحصل أحدهم على الشهادة النهائية، يعين أستاذا أو كاتب عدل أو إماما" (ابن الوزان، 2005، ص391).

مظاهر التبادل الثقافي بين العلماء المغاربة:

لقد تنوعت دوافع وأوجه التبادل الثقافي بين علماء ومثقفي الأقطار المغربية، التي يمكن حصرها في النقاط الآتية:

تاريخ الارسال: 2020/06/15

تاريخ القبول: 2020/06/17

تاريخ النشر 2020/12/25

تنطلق من تازة بالمغرب الأقصى، مروراً بالجزائر وتونس وطرابلس والإسكندرية والقاهرة، لتصل إلى المدينة المنورة ومكة المكرمة. وكان المغاربة خلال هذه الرحلة يتقاسمون الأتعاب ومشقة السفر ومعاناته. فتعتبر تلك الرحلة، التي تستغرق مدة زمنية طويلة، من العوامل التي كانت تساعد على تقوية روابط المحبة والمودة بين أفراد الركب، بل كانت مناسبة للعلماء والمثقفين عامة للتعارف وتبادل المعارف. فكانوا يتصلون بالمتقنين والعلماء، فيتلقون مزيداً من التكوين العلمي، أو يقومون بالتدريس تطوعاً لبعض الوقت، خلال ذلك تتاح لهم فرصة التعارف على النشاط الثقافي والتطورات العامة بالجهة التي يحلون بها (حركات، 1985، ص22).

وقد لاحظنا أن معظم العلماء المغاربة الذين كانوا يتوجهون إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج، يجعلون تلك الرحلة مناسبة للاحتكاك بالعلماء المسلمين الوافدين. فيحدث هناك تبادل ثقافي وعلمي فيما بينهم. وكان العلماء المغاربة يتوقفون بالخواضر العربية لأخذ العلم أو إعطائه، مثل الزيتونة، والإسكندرية، والقاهرة،

والقدس، ودمشق، وبغداد، والمدينة المنورة، ومكة المكرمة. وكان أصحاب تلك الرحلات، غالباً ما يسجلون ملاحظاتهم في مؤلفات، تعرف بالرحلات الحجازية، والتي كانت تحتوي على المسالك والمحطات التي مر بها صاحبها، وأسماء العلماء والصالحين، الذين التقى بهم أو زار أضرحتهم أو زواياهم (بالحميسي، 1979).

3. الهجرة الإجبارية : لقد اضطر بعض العلماء والمثقفين المغاربة إلى ترك بلدانهم ليستقروا في إحدى الدول العربية أو الإسلامية. وقد تعود أسباب هجرتهم إلى معارضتهم للنظم السائدة في بلدانهم، مما كان يعرضهم للمضايقات والاضطهاد. ولهذا، فكلما ضاقت بهم السبل في بلدانهم، انتقلوا إلى إحدى الدول التي توفر لهم الأمن والاستقرار. وكان الحكام في بعض الحالات يستدعون بعض العلماء المضطهدين في بلدانهم، ليوظفهم ضد خصومهم داخلياً وخارجياً (بركات، المرجع السابق، ص93).

علاقات تلمسان بيجاية:

تاريخ الارسال: 2020/06/15

تاريخ القبول: 2020/06/17

تاريخ النشر 2020/12/25

قبل أن نشرع في ذكر بعض التفاصيل عن الروابط الثقافية بين المدينتين العريقتين، نشير إلى بعض القواسم المشتركة التي تجمع بينهما .

قام السلطان الحمادي الناصر بن علناس بتجديد مدينة بجاية 1067-1068م، وحوّلها إلى منارة علمية في الضفة الجنوبية للمتوسط، فعرفت المدينة إثر ذلك توافدا للعلماء من كل حذب وصوب، خاصة من الأندلس وشمال إفريقيا وأروبا . وقد احتفظت بجاية بمكانتها العلمية في العهدين الموحدوي والحفصيّ، ولعب فيها النازحون من مسلمي الأندلس دورا كبيرا في إنعاشها وترقيتها إلى أن وقعت في قبضة القوات الإسبانية في عام 1510 م، وكان ذلك بمثابة نكبة أملت بالمدينة، أدت إلى خروج الكثير من سكانها، واستقرارهم في الجبال، فتوقف دورها الريادي في المغرب الإسلامي.

أما تلمسان، فهي عريقة أيضا، استقطب موقعها الجغرافي وأراضيها الخصبة العنصر البشري منذ زمن بعيد، وتحولت هي الأخرى في الفترات الإسلامية المتعاقبة إلى منارة

علمية أضاء نورها أرجاء المغرب الإسلامي والأندلس.

إن الظاهرة التي تلفت انتباه الدارس عند تتبعه لمسار المدينتين بجاية وتلمسان، هو ذلك التلاحم والتواصل الثقافي، الذي وقع بينهما عبر المراحل التاريخية المختلفة . ونحاول أن نقدم بعض النماذج لهذا التواصل من خلال استعراض بعض الأحداث الثقافية التي تعد قاسما مشتركا بين المدينتين، علما أن المدينتين قد احتفظتا بمكانتهما العلمية المرموقة حتى بعد أفول دورهما السياسي.

. لقاء عبد المؤمن بن علي مع ابن

تومرت في بجاية :

ولد عبد المؤمن بن علي (1094-1162م) بقرية تاجرا بناحية ند رومة، وبعد أن أكمل دراسته بمسجد تلمسان، شد الرحال إلى مدينة بجاية، فالتقى بها بابن تومرت . ويعد ذلك اللقاء حدثا تاريخيا هاما، أسفر عن اتفاقهما على محاربة الدولة المرابطية المتهمة بالبدعة، وعلى تأسيس كيان سياسي جديد على

تاريخ الارسال: 2020/06/15

تاريخ القبول: 2020/06/17

تاريخ النشر 2020/12/25

أنقاضها يوحد المغرب الإسلامي (بن قربة، 1995، ص9).

. سيدي بومدين نزيل بجاية ودفن تلمسان:

هو سيدي بومدين شعيب من السادة الصوفية الكبار، الذين عاشوا في القرن 12 م، وهو أندلسي الأصل، درس بمدينة فاس، ثم ارتحل إلى المشرق. وبعد عودته استوطن مدينة بجاية. اشتغل أثناء إقامته بها بالتدريس وتلقين التربية الروحية الصوفية. وانتقل بعد ذلك إلى تلمسان بأمر من سلطان الموحدين، فرق الحياة بتلمسان عام 1198 م، ودفن بالعباد. وقد شيد له أهل تلمسان مسجدا يليق بمقامه، سمي باسمه، ولا يزال إلى يومنا هذا منارة للعلم ومقاما للعبادة (الغبرني، 2007، ص10).

العلامة عبد الرحمن بن خلدون:

يعتبر ابن خلدون (1332-1407م) من بين القواسم المشتركة التاريخية بين بجاية وتلمسان، إذ عاش شطرا من حياته في المدينتين، خلال المرحلة التي كان يطمح فيها الحصول

على مناصب سياسية لدى الحكام والأمراء والسلطين المغاربة. وفي هذا السياق ارتبط دخوله إلى مدينة بجاية بخدمة الدولة المرينية، التي لم تحف طموحها لتوحيد المغرب الإسلامي تحت سيادتها، وتحقق لها ذلك في عهد السلطان أبي الحسن المريني، الذي أخضع لسلطته بجاية وتونس عام 1347 م. أما ابن خلدون، فبعد أن تخلى عن طموحه السياسي، استقر بتلمسان في عهد أبي حمو موسى الزياني، وتحول إلى الكتابة (حاجيات، 1974، ص191).

يعتبر التواصل الثقافي حلقة متينة في العلاقات بين بجاية وتلمسان. فقد دأب علماء هذه الأخيرة على زيارة مدينة بجاية في سياق رحلاتهم العلمية والدينية نحو المشرق العربي. ومن جهة أخرى قصد بعض علماء بجاية مدينة تلمسان للدراسة والتدريس. ولعل أشهر الأسماء التي أقامت جسورا علمية وثقافية بين المدينتين، علماء قبيلة مشدالة الشهيرة (ولاية البويرة حاليا)، فنذكر منهم:

- تاريخ الارسال: 2020/06/15 تاريخ القبول: 2020/06/17 تاريخ النشر 2020/12/25
1. ناصر الدين المشدالي (1233-1330م)، فبعد أن تم دراسته ببجاية، رحل إلى المشرق العربي لإكمال دراسته، ومكث هناك أزيد من عشرين سنة. زار خلالها بلدانا عديدة، وأشهر شيوخه العز بن عبد السلام الملقب بسلطان العلماء، الذي لازمه مدة طويلة، ثم عاد إلى بجاية عالما جليلا، حاملا معه كتاب "مختصر ابن الحاجب في الفقه المالكي، واختص بتدريسه (مقالاتي، 2005، ص 7). وذكر ابن خلدون أن هذا العالم قد أحدث ثورة في إصلاح طرائق التدريس، معتمدا على الحوار والمناقشة والتعمق في البحث عن طريق تغليب مبدأ المناظرة العقلية، والاهتمام بالدراية قبل الرواية، الأمر الذي ساعد على إعادة الاشراق إلى مجال الاجتهاد العلمي (بونار، 1974، ص 307)، وانتشار طلبته في ربوع الجزائر، خاصة في مدينة تلمسان، التي زارها بوصفها منارة للعلم والمعرفة. ومن العلماء الذين أخذوا عنه، نذكر منهم أبا إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي، الذي رحل فيما بعد إلى المشرق، فأخذ المنطق والكلام والجدل عن كثير من علماء تونس والقاهرة،
- منهم القرافي، وشمس الدين الاصبهاني، ثم عاد إلى مسقط رأسه، ولما استولى يغمراسن على تنس، استقدمه إلى تلمسان، وطلب منه أن يقيم فيها لتدريس العلوم الدينية. فروى عنه كثيرون، منهم أبو عبد الله بن الحاج العبدري، وابن مرزوق جد الجد وغيرهما (مشاهير، 1995، 494).
2. عمران المشدالي (1271-1344م)، وهو تلميذ ناصر الدين المشدالي، رحل إلى تلمسان، فأحسن سلطانها ابن تاشفين الزياني وفادته، ثم عينه مدرسا بالمدرسة التاشفينية، درس العلوم الشرعية واللغوية والمنطق. ولعل أشهر تلامذته في تلمسان، المقرئ الجد، وهو من العلماء الكبار في زمانه. وأخذ عنه أيضا أبو عبد الله السلاوي، الذي ورد تلمسان فارا من بني مرين، فاشتغل بالتدريس بالمدرسة التاشفينية، إلى أن قتله المرينيون في عام 737 هـ، عند فتحهم لتلمسان (بونار، المرجع السابق، ص 308).
3. أبو الفضل المشدالي (1418-1460م)، ارتحل إلى تلمسان طلبا للعلم عام 1436 م،

تاريخ الارسال: 2020/06/15

تاريخ القبول: 2020/06/17

تاريخ النشر 2020/12/25

ومكث بها مدة أربع سنوات، أخذ خلالها العلوم الشرعية والأدب والمنطق والفلسفة على يد العلامة ابن مرزوق الحفيد، ودرس أصول الفقه ومختصر ابن الحاجب على يد العلامة أبي العباس بن زغو. وتولى أبو الفضل التدريس بتلمسان، ومن أشهر تلامذته في تلمسان، أحمد بن زكري (بونار، نفسه، ص312).

. أبو علي منصور بن علي بن عبد الله الزواوي، ولد عام 710 هـ ببجاية، ونشأ بها، وأخذ العلم عن علماء بجاية، منهم ناصر الدين المشدالي، وأبو عبد الله الباهلي المسفر، وأبو عبد الله بن أبي يوسف الزواوي وغيرهم، ثم رحل إلى تلمسان لمزاولة دراسته عند علمائها. ومن ثمة انتقل إلى الأندلس لاستكمال تكوينه، كما أنه انتصب للتدريس بها. وقرر العودة إلى تلمسان ليتولى بها تدريس العلوم النقلية والعقلية. وقد تخرج على يديه عدد من العلماء، منهم أبو إسحاق الشاطبي، والمقري الكبير، ويحيى السراج، ولسان الدين ابن الخطيب، ويحيى بن خلدون (مشاهير، المرجع السابق، ص322).

وعلاوة على هذا الاحتكاك المباشر بين علماء تلمسان وبجاية، فإن هناك التواصل عن طريق تبادل الإجازات، التي كانت تعد في ذلك الوقت بمثابة الشهادات يمنحها الشيخ للتلميذ. وذكر في هذا الشأن الغبريني، أن أحد فقهاء بجاية المشهورين، أبو زكرياء يحيى بن علي بن حسن حبوس الهمداني، كتب للفقير العالم أبي عبد الله محمد بن عبد الحق التلمساني في مطلع القرن 13 م يستجيزه بإجازة، فرد عليه بهذه الإجازة، التي جاء فيها: أجزت لكم أكرمكم الله جميع ما سألتموه، وأبحث لكم من ذلك ما طلبتموه، إجازة عامة على شروطها المعمول بها عند القائلين، إذ أنتم أهل لذلك نفعمكم الله ونفع بكم" (الغبريني، المصدر السابق، ص105).

علاقات تلمسان بحواضر المغرب

الأقصى:

تعود العلاقات الثقافية بين تلمسان وحواضر المغرب الأقصى إلى أمد بعيد، إذ كان العلماء المغاربة عامة والأندلسيون يشكلون

تاريخ الارسال: 2020/06/15

تاريخ القبول: 2020/06/17

تاريخ النشر 2020/12/25

مدرسة واحدة .وكان التواصل الثقافي بين تلمسان وحواضر المغرب يتمثل في قيام علماء ومثقفين البلدين بتبادل الزيارات العلمية .فهناك من كان يسافر من أجل التحصيل العلمي والمعرفي، وأخذ الإجازات من مشاهير المشايخ (هلال، 1995، ص36). وهناك من كان يفضل المقام والاستقرار في القطر الشقيق، مما كان يمكنه من تقلد المناصب في مجال التدريس والقضاء والإفتاء والخطابة وغيرها.

ويعد علماء تلمسان من الأوائل الذين كانت تربطهم صلات بالمغرب الأقصى، ومؤسساته العلمية، بحكم قرب المسافة بين مدينتهم والمدن المغربية لاسيما فاس ومكناس . كما أن تلمسان كانت خاضعة في فترة من الفترات للحكم المريني .بينما في الفترات اللاحقة، فإن التنقل لم يكن مقصورا على علماء الغرب الجزائري، بل شمل معظم القطر الجزائري، فارتحل العلماء من الشرق الجزائري ووسطه وجنوبه إلى المغرب الأقصى قصد الاستفادة والإفادة، وهذا ما جعل أحد الدارسين يقول عن

التواصل الثقافي بين الجزائر عامة والمغرب الأقصى، الآتي " :إن تنقل المثقفين والدارسين بين المغرب والجزائر كتتنقل سكان الجزائر بين وهران وتلمسان، وسكان المغرب بين فاس ومكناس (حركات، المرجع السابق، ص23).

إن معظم علماء تلمسان كانت لهم صلات بالحواضر المغربية للأسباب التي ذكرناها، ونظرا لعدددهم الكبير، فإننا سنكتفي بذكر بعض منهم في الفترات التاريخية المختلفة.

. أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسني، ولد بتلمسان عام 710 هـ، أخذ العلم عن علماء تلمسان، منهم أبو زيد بن يعقوب، وأبو موسى عمران المشدالي، وأبو محمد عبد الله المجاصي، وغيرهم، ثم رحل إلى فاس، فأخذ العلوم عن الآبلي (مشاهير، المرجع السابق، ص13). وبعد أن نال قسطا وافرا من العلوم، عاد إلى تلمسان ليشغل مدرسا بها .ولما استولى أبو عنان المريني على تلمسان، عام 753 هـ، ضم أبا عبد الله الشريف إلى مجلسه العلمي،

تاريخ الارسال: 2020/06/15

تاريخ القبول: 2020/06/17

تاريخ النشر 2020/12/25

ونقله إلى فاس (حاجيات، 1974، ص162).

. أبو عثمان سعيد بن محمد بن محمد العقباني، ولد بتلمسان عام 720 هـ، وكغيره من أقرانه أخذ العلم عن علماء تلمسان، ثم ولي القضاء ببجاية أيام السلطان أبي عنان المريني، ثم نقل إلى قضاء مراكش وسلا (حاجيات، نفسه، ص162)

وقد استمر التواصل الثقافي بين تلمسان والحوضر المغربية، طوال المراحل التاريخية اللاحقة. ففي مطلع القرن السادس عشر أدت الظروف الحرجة التي كانت تمر بها الجزائر إلى هجرة عدد كبير من العلماء الجزائريين إلى المغرب الأقصى. ويعود أصل معظمهم إلى مدينة تلمسان. وكان وراء تلك الهجرة، الاضطرابات التي عرفتھا المنطقة الغربية من البلاد، إذ دخل العثمانيون في صراع مع الزيانيين، المتحالفين مع الإسبان (غزوات، 1934)، كما دخل سلاطين المغرب الأقصى في حلبة الصراع كطرف ثالث. ولا شك أن ذلك الصراع لم يكن

ليشجع العلماء على البقاء في وطنهم، إذ من طبيعتهم يبحثون دائما عن جو يسوده الهدوء والاستقرار، لأداء رسالتهم العلمية على أحسن وجه، وبما أن ذلك لم يكن متوفرا في بلادهم، فإنهم فضلوا البحث عن أماكن آمنة.

ومن بين العلماء الجزائريين الذين انتقلوا إلى المغرب الأقصى في أواخر الدولة الزيانية، أبو الحسن المطغري وأحمد الونشريسي (الحفناوي، ص66). وعلي بن موسى بن هارون، ومحمد بن محمد التلمساني، ومحمد شقرون، وعبد الواحد الونشريسي، وعلي بن عيسى التلمساني، وأحمد العقباني (BROSSELDARD, 1861, p.401) ومحمد بن عبد الرحمن التلمساني، وأحمد المقري وغيرهم (هلال، المرجع السابق، ص28). وقد استغاثت مجموعة من علماء تلمسان بسلطان المغرب الأقصى، عبد الله الغالب (1557-1574م)، عندما توترت العلاقات بينهم وبين الحكام العثمانيين، فأرسل إليهم جنودا، ونقلهم إلى فاس. وكان من بين هؤلاء العلماء، أحمد بن أحمد العبادي

تاريخ الارسال: 2020/06/15

تاريخ القبول: 2020/06/17

تاريخ النشر 2020/12/25

التلمساني، الذي استقر بفاس في عام 1561م، ثم عاد إلى تلمسان، واتخذ مليانة مقرا له (مزين، 1995، ص 98). كما حظي الأديب الجزائري سعيد المنداسي، المتوفى بسجل ماسة المغربية عام 1677م، بمكانة خاصة لدى السلطان مولاي محمد بن الشريف، الذي منحه خمسة وعشرين رطلا من الذهب، مقابل مدحه بأشعاره، مما عزز سياسة السلطان الداخلية في الوقت الذي كان عهده يواجه اضطرابات وعدم الاستقرار (الزياني، 1979).

نلاحظ أن عدد العلماء الجزائريين، لاسيما المنحدرين من تلمسان، الذين ارتحلوا إلى المغرب الأقصى، كان معتبرا خلال القرن السادس عشر. وقد تعود الأسباب المتحكمة في هذه الهجرة الجماعية، إلى الأوضاع العامة المضطربة التي كانت سائدة في الجزائر آنذاك.

ومهما كانت دوافع الهجرة، فإن علماء تلمسان قد تقلدوا عدة مناصب في جامع القرويين بفاس، وبمختلف الحواضر المغربية، مثل مكناس، ومراكش، وتارودانت. ومنهم من نال

مكانة مميزة عند سلاطين المغرب، أمثال محمد بن عبد الرحمن بن جلال التلمساني (1502-1573م)، مفتي تلمسان وفاس. فقد تولى في عهد عبد الله الغالب السعدي، الإمامة والخطابة والتدريس بجامع القرويين. وكان يقوم بجولات علمية إلى المدن المغربية، مثل تارودانت ومراكش (الطمار، 2007، ص 31). وحذ حذوه محمد بن أحمد التلمساني، المعروف بابن الوقاد توفي عام 1591م، الذي استقر بتارودانت، وولى بما القضاء الجماعة، ثم انتقل إلى مكناسة الزيتون أين تولى الخطابة، ليستقر في الأخير بتارودانت (مزين، المرجع السابق، ص 266). كما خصص السلطان الغالب لمحمد بن هبة الله، المعروف بابن شقرون التلمساني (1503-1575م)، كرسيًا للتدريس داخل قصره، وتولى الفتوى ورئاسة العلم في مراكش (هلال، المرجع السابق، ص 31).

وقد استمر علماء تلمسان في التنقل إلى المغرب الأقصى طوال القرنين السابع عشر والثامن عشر، ليعرف عددهم ارتفاعا محسوسا

تاريخ الارسال: 2020/06/15

تاريخ القبول: 2020/06/17

تاريخ النشر 2020/12/25

في مطلع القرن التاسع عشر، لما وقعت الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي في عام 1830 م.

وفي المقابل كان علماء المغرب الأقصى يتوافدون هم أيضا على الحواضر الجزائرية، مثل مدينة الجزائر وقسنطينة ووهران وتلمسان، للإفادة والاستفادة من علمائها، أو كانوا يتخذون القطر الجزائري محطة لهم أثناء تنقلهم إلى المشرق لأداء فريضة الحج، أو في مهمة علمية، أو دبلوماسية. ونذكر من هؤلاء ابن زاكور الفاسي (1633-1708م)، الذي حل بالجزائر عام 1683 م، والذي ألف الرحلة الموسومة "نشر أزاخير البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان". وقد أشاد ابن زاكور في مقدمة رحلته بالعلاقات الودية السائدة بين البلدين، إذ جاء فيها "ألقت هذه الرحلة أضواء على التعاون الثقافي بين المغربين الأقصى والأوسط وأضافت حلقة جديدة إلى سلسلة الروابط العديدة التي تشدهما شدا وثيقا" (بالحميسي، المرجع السابق، ص 20). أما في القرن الثامن عشر، فقد زار الجزائر الوزير أبو القاسم بن محمد

بن علي الزياني الفاسي (1743-1833م)، فقد حل بتلمسان عام 1792 م قصد الإقامة بها. وكانت له عدة جلسات مع علماء وأعيان تلمسان، وذكر أهم الكتب التي استفاد منها. ويبدو حسب ما أورده الزياني في رحلته "الترجمة الكبرى"، أن الثقافة في تلمسان قد تراجعت بشكل رهيب في أواخر القرن الثامن عشر، إذ قال "وهؤلاء الطلبة الذين بتلمسان ليس فيهم من يحسن منطقا ولا لغة ولا عربية لا صلاح اللسان ولا يتعاطون الفروع الفقهية والأحاديث النبوية (بالحميسي، نفسه، ص 194). نعتقد أن تراجع المستوى التعليمي في الجزائر عامة وليس في تلمسان فقط، يرجع إلى أسباب موضوعية، نذكر منها: - عدم اهتمام العثمانيين بالتعليم والثقافة عامة.

- الهجرة الجماعية لعلماء الجزائر إلى الحواضر العربية المغربية والمشرقية، نتيجة الاضطرابات الداخلية التي كانت تقع في البلاد. فهناك عدد كبير من العلماء الجزائريين الذين فضلوا

تاريخ الارسال: 2020/06/15

تاريخ القبول: 2020/06/17

تاريخ النشر 2020/12/25

الاستقرار في الحواضر العربية نهائيا، وبالتالي
 حرموا أبناء بلادهم من الاستفادة من علمهم .
 وقد ساهم علماء تلمسان في نشر العلم
 والمعرفة في المجتمع المغربي، وعملوا على تقوية
 روابط المودة بين الشعبين، وذلك بالرغم من
 احتدام الصراع بين العثمانيين في الجزائر
 والسعديين في المغرب الأقصى، ولاسيما لما
 أقدمت الجزائر على احتضان بعض الأمراء
 السعديين الفارين من بطش السلطان عبد الله
 الغالب، فإن العلاقات الثقافية لم تنزعزع، بل
 كانت بمثابة جسر تربط الشعبين وعلماء
 البلدين.

إن ما يمكن قوله عن العلاقات الثقافية
 بين تلمسان والمغرب الأقصى، أنها كانت ثرية
 طوال الفترات التاريخية، وتختلف درجة أو نسبة
 كثافتها من مرحلة إلى أخرى، لعدة عوامل
 داخلية وخارجية . كما أن العلاقات كانت
 مقصورة على المستوى الشعبي، ولا دخل فيها
 للدوائر الرسمية . فكانت تتميز بالعفوية والتلقائية .
 وقد لاحظنا خلال استعراضنا لبعض جوانب

تلك الروابط أن هناك تكاملا بين علماء
 البلدين، فكانوا يشكلون بحق مدرسة واحدة .
 فالتلميذ في الجزائر أصبح أستاذا في الحواضر
 المغربية، والأستاذ في المغرب أصبح تلميذا في
 الجزائر، والعكس صحيح، وهذا إن دل على
 شيء وإنما يدل على تواضع العلماء المغاربة
 عامة.

علاقات تلمسان بالحواضر التونسية:

يعتبر القطر التونسي أولى قبلة للعلماء
 الجزائريين عامة، وذلك منذ أن أسس عقبة بن
 نافع مدينة القيروان في عام 51 هـ . فقد لعبت
 القيروان وجامعها الأعظم دورا ثقافيا مهما في
 منطقة المغرب الإسلامي . فتحولت المدينة مع
 مرور الوقت إلى مركز إشعاع ثقافي يتوافد عليه
 الطلبة والعلماء من كل أقطار المغرب،
 لاستكمال تعليمهم، ومن ثم يواصلون رحلتهم
 إلى الحواضر المشرقية . وقد ساهمت القيروان في
 تنشيط الحياة الثقافية في المغرب الإسلامي إلى
 غاية عام 443 هـ، تاريخ تعرضها لحمة بني
 هلال، الذين خربوا معالمها الحضارية وجامعها

تاريخ الارسال: 2020/06/15

تاريخ القبول: 2020/06/17

تاريخ النشر 2020/12/25

الأعظم (الجابري، 1983، ص85). وهكذا غير العلماء المغاربة وجهتهم صوب فاس في المغرب الأقصى، التي أخذ نجمها يلمع منذ أن أسسها إدريس الثاني في عام 192 هـ. كما كان لمراكش دور هام في نشر الثقافة ابتداء من القرن 5 هـ (بن قربة، ص85).

بعد أن اشتهرت القيروان في القرن 3 هـ/9م، كمركز علمي وثقافي في المغرب الإسلامي (أبو العرب القيرواني، 1968). توالى الرحلات العلمية من الجزائر. ويبدو أن الشاعر بكر بن حامد التهامي المتوفى في عام 931م، كان من العلماء الأوائل الذين شدوا الرحال إلى القيروان في عام 832 م، وتولى التدريس بها. وسار على دربه علماء آخرون من كل القطر الجزائري.

وقد عرف عدد العلماء الجزائريين الوافدين على تونس ارتفاعا محسوسا في عهد الحفصيين، الذين جعلوا من مدينة تونس مركزا ثقافيا مهما خلفا للقيروان. وأصبح جامع الزيتونة منارة علم، تستقطب العلماء والطلبة من

كل أنحاء العالم العربي، لاسيما علماء الجزائر، باعتبارها أقرب مركز علمي لبلادهم. وكان لهؤلاء دور بارز في تنشيط الحياة الثقافية والفكرية في تونس. وقد سمحت لهم ثقافتهم الواسعة، وعلمهم الغزير بتقلد عدة مناصب في الحواضر التونسية، مثل الفقه، والخطابة، والتدريس. إلا أن ما لاحظناه هو أن معظم العلماء الوافدين على تونس ينحدرون من الشرق الجزائري، ربما يعود ذلك إلى كون ذلك الإقليم كان تحت نفوذ الحفصيين.

ومن علماء تلمسان الذين اتخذوا حواضر تونس محطة لهم في طريقهم إلى المشرق، أو إقامة دائمة، نذكر منهم: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ابن الإمام الذي يعد من أشهر العلماء المالكية بالمغرب في القرن 8 هـ/14م، انتقل وأخوه أبو موسى إلى تونس طلبا للعلم، وأخذ عن ابن جماعة وابن القطان واليفرني وغيرهم. فعاد إلى تلمسان، وقربه الأمير أبو حمو الأول واختط له مدرسة اشتهرت

تاريخ الارسال: 2020/06/15

تاريخ القبول: 2020/06/17

تاريخ النشر 2020/12/25

بمدرسة ابن الإمام . فتولى التدريس والإفتاء مع أخيه (مشاهير، المرجع السابق، ص 60).

. ابن مرزوق، هو محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد العجيسي التلمساني (1364-1438م)، كان كثير التردد على تونس، فقد حج منها عام 790 هـ/1388م مع أستاذه ابن عرفة (ابن قنفذ القسنطيني، 1980، ص 379). كما حج منها مرة أخرى عام 819 هـ/1425م. وقد كان بين ابن مرزوق وعلماء جنوب تونس صلات ومراسلات، فقد وردت عليه أسئلة من أبي يحيى ابن عقبة، عالم قفصة في وقته، فأجابه ابن مرزوق عليها بتأليف سماه "اغتنام الفرصة في محادثة قفصة (سعد الله، 1990، ص 354).

. أبو عبد الله الشريف التلمساني توفي 1370 م، انتقل إلى تونس عام 740 هـ، فلقب بها العلماء الكبار، مثل عزالدين بن عبد السلام وغيره، فانتفع بهم واستفاد منهم (مشاهير، المرجع السابق، ص 394). محمد بن بلقاسم الأنصاري التلمساني، المتوفى عام 1445 م، كان قاضيا

وإماما وخطيبا بتونس (الجابري، المرجع السابق، ص 23-27).

وقد لخص أحد الدارسين الحياة الثقافية في تونس، قبل تعرضها للحملة الإسبانية في عام 1534م، فقال عنها " : كانت تونس قبل كارثة الاحتلال الإسباني، دار علم وفقه، ورثت عن فقهاء القيروان طرق استنباط الأحكام وموازنة الأدلة وضبط النصوص وتطبيقها، واختصت بطريقة في التعليم تجمع بين الفقه، انتقلت عن المازري إلى ابن عبد السلام، فابن عرفة وتلاميذه . وقد أشاد بها حجة المغرب ابن مرزوق الجد وغيره . وما كاد يطلع عليها القرن العاشر الهجري حتى أخذت في التراجع بمفعول الفتن والاحتلال، ثم انعدم منها العلم تماما عند الاحتلال الإسباني، الذي استباح معاهدها، وأتلف كتبها، واستلحم ما بقي من أعلامها . ثم جاء الحكم التركي ممثلا في طبقات من الجند لا صلة بينها وبين العلم (ماصور، 1970، ص 13-14). وذكر عبد الكريم الفكون أن ملك إسبانيا لما احتل تونس، أباح لجنوده

تاريخ الارسال: 2020/06/15

تاريخ القبول: 2020/06/17

تاريخ النشر 2020/12/25

اقتحام جامع الزيتونة، فقتل بعض علمائها في حلقات دروسهم، وكان من بين القتلى الشيخ يحيى الفكون جد والده (الفكون، 1987، ص41).

تعد الاضطرابات التي عشتها تونس خلال القرن السادس عشر، من الأسباب المباشرة التي أثرت في العلاقات الثقافية بين الجزائر وتونس، إذ لوحظ أن عدد العلماء الجزائريين الذين كانوا ينتقلون إلى تونس قد تقلص، مقارنة بما هو عليه في المراحل السابقة للعهد العثماني. ولكن ما لبث أن تحسنت أحوال تونس واسترجعت عافيتها في فترة حكم الحسينيين (1705-1814م)، فعرفت

استقرارا نسبيا، وانعكس ذلك على الحياة الثقافية، فاسترجعت المعاهد والمدارس التونسية مكانتها المعهودة (ماضور، المرجع السابق، ص14). وبالرغم من أن العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس خلال الوجود العثماني، عرفت تدهورا كبيرا، إذ تعددت الحملات العسكرية من كلا الطرفين، فإن العلاقات

الثقافية اتسمت بالاستقرار والتواصل، ولم تتأثر بالأوضاع السائدة، فاستمرار توافد العلماء الجزائريين على تونس وتقلدهم للمناصب فيها، لدليل على ذلك التقارب والترابط. وبحلول عام 1830م، تتعرض الجزائر للاحتلال الفرنسي، وكان لذلك انعكاس سلبي على الأوضاع العامة بما في ذلك الحياة الثقافية (سعد الله، 1984)، إذ فضل العلماء الجزائريون مغادرة بلادهم، ليستقروا في الأقطار المغاربية والمشرقية. فهناك من رحل بمحض إرادته، وهناك من أرغم على الهجرة. فاختر معظم علماء تلمسان التوجه إلى المغرب الأقصى بحكم العلاقات التاريخية، وقرب المسافة.

علاقات تلمسان بالحوضر الأندلسية:

لقد ارتبطت تلمسان كغيرها من الحواضر المغاربية بحواضر الأندلس منذ أن استقر بها المسلمون. فكان الأمويون في قرطبة يستقبلون الوفود والسفارات الرستمية، ولم تكن هذه العلاقات مقصورة على الناحية السياسية فقط، بل اشتملت النواحي الاقتصادية

- تاريخ الارسال: 2020/06/15 تاريخ القبول: 2020/06/17 تاريخ النشر 2020/12/25
- والعسكرية والتجارية والثقافية. وتوثقت الروابط بين المغربين الأوسط والأقصى، بحكام الأندلس لما ظهر الخطر الفاطمي.
- فكان علماء تلمسان كغيرهم من العلماء المغاربة عامة يترددون على الحواضر الأندلسية، مثل قرطبة، وإشبيلية، وغرناطة، ومرسيه، وآلميرية، للاستفادة من علمائها، ومنهم من تقلد بعض المناصب في إحدى الحواضر .
- كما أن علماء الأندلس كانوا يتخذون تلمسان محطة لهم أثناء توجههم إلى المشرق لأداء فريضة الحج، أو لمهام علمية .وهناك من فضل الاستقرار نهائيا بتلمسان، نظرا لتوفر المناخ العلمي المناسب .ونذكر بعض علماء تلمسان الذين انتقلوا إلى الأندلس في الفترات المختلفة، منهم :- أبو عبد الله بن عمرو ابن خميس، كان أديبا وشاعرا، غادر تلمسان سنة 1294 م، بعد أن زار حواضر المغرب الأقصى، انتقل إلى الأندلس، فدخل المرية عام 1303 م، ورحل في السنة الموالية إلى غرناطة، فضمه الوزير ابن
- الحكيم إلى مجلسه (الطمار، 2007، ص215).
- . شمس الدين أبي عبد الله بن مرزوق التلمساني، لما قام أبو الحسن المريني بمحاصرة تلمسان، ضم إليه ابن مرزوق الذي صار لا يفارقه .فكان يرسله في السفارات إلى الأندلس (الطمار، نفسه، ص218).
- . أبو عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان اليعفري التلمساني (536-625هـ)، رحل إلى فاس وسبته وإشبيلية، لطلب العلم، ثم ولي القضاء بتلمسان، ودرّس بها العلوم الدينية من حديث وفقه وكلام (حاجيات، المرجع السابق، ص41).
- وقد توطدت العلاقات بين تلمسان وحواضر الأندلس في العهد الزياني، لاسيما غرناطة بني نصر .وحصل التأثير والتأثر بين الجانبين في شتى النواحي .وقال أحد الدارسين في تقييمه لتلك العلاقات " :إن الترابط الذي ميز العلاقات بين غرناطة وتلمسان قد ترك بصماته في عاصمة بني زيان بأشكال متنوعة،

تاريخ النشر 2020/12/25

تاريخ القبول: 2020/06/17

تاريخ الارسال: 2020/06/15

كبير منهم إلى الجزائر، وانتشروا في حواضرها، ومن أهمها تلمسان التي كانت على صلة وثيقة بالأندلس، وحملوا بالطبع معهم علومهم وآدابهم، وفنونهم. فقد نظموا حلقات التعليم بالمدارس والمساجد، وخاصة بالمسجد الجامع، الذي أصبح إثر نزوح الأندلسيين إلى تلمسان معهدا للتدريس، لا يقل أهمية عن جامع الزيتونة والقرويين (الطمار، المرجع السابق، ص232). ومن الشخصيات الأندلسية البارزة التي حلت بتلمسان بعد سقوط غرناطة، الأديب أبو عبد الله بن الحداد الوادي آشي، والقاضي الشهير أبو عبد الله بن الأزرق (الطمار، نفسه، ص233).

وقد قيل عن علماء الأندلس " كان لشعورهم بسوء العاقبة يعملون في الهجرة على ما جوارهم من بلدان. وكان مقصدهم من ذلك تلمسان والمغرب الأقصى ثم تونس. وبدخول رحالة الأندلس، أصبحت هاته الأقاليم وارثة العلوم الأندلسية (القلصادي، المصدر السابق، ص26).

وتمثل في تقاليد أهلها وعاداتهم ولهجتهم وحرفهم وتراثهم الثقافي والمعماري والفني. وليس أدل على ذلك من ازدهار الموسيقى الأندلسية والصناعات التقليدية بتلمسان إلى عصرنا هذا، وحرص أهلها على الحفاظ على هذا التراث (حاجيات، 2009، ص184).

أما علماء الأندلس الذين حلوا بتلمسان، فقد أبرز العالم الأندلسي أبو الحسن علي القلصادي المتوفى عام 1486 م، في رحلته تلك العلاقات الثقافية والعلمية التي كانت تربط ما بين العلماء المغاربة والأندلس في أواخر القرن 15 م. ومن جملة العلماء الذين أخذ عنهم القلصادي العلوم النقلية والعقلية بمدينة تلمسان، محمد بن مرزوق الحفيد، وعيسى الرتيمي، ومحمد الشريف، ويوسف الزيدوري، ومحمد بن النجار، وأحمد بن زغو، وقاسم العقباني (القلصادي، 1978، ص96-197).

وقد عرف عدد علماء الأندلس الوافدين على تلمسان ارتفاعا محسوسا، لما استولى الإسبان على غرناطة عام 1492 م، فترح عدد

تاريخ الارسال: 2020/06/15

تاريخ القبول: 2020/06/17

تاريخ النشر 2020/12/25

علاقات تلمسان بالحوضر المشرقية:

لقد ارتبط أهل المغرب بالمشرق العربي منذ الفتح الإسلامي له. فكان عدد المغاربة الذين يتوافدون على المشرق، لاسيما البقاع المقدسة، في تزايد مستمر. وكان المشرق بالنسبة للعلماء الجزائريين عامة، يمثل محطات علم و تثقيف كانوا يقفون عندها أو يتوجهون إليها، كمكة والمدينة والإسكندرية والقاهرة والقدس ودمشق وبغداد. وكان لكل اتجاه من اتجاهات الجزائريين عبر العصور، أسباب ومبررات، وإن كان الطابع الذي يغلب عليه هو الطابع الديني -العلمي. وقد يتقدم الطابع الديني في العصور الأولى لدخول الإسلام أرض إفريقيا العامل العلمي (هلال، 1995، ص381). فكان العلماء الجزائريون كثير التمسك بالجانب الروحي، فكانوا يقومون بأكثر من رحلة لأداء فريضة الحج، وزيارة الأماكن المقدسة، علاوة على رغبتهم في لقاء العلماء والأخذ عنهم، والاستفادة منهم، ونيل الإجازات والأسانيد.

وإذا عدنا إلى العلاقات الثقافية بين تلمسان والحوضر المشرقية، فإن ما يمكن قوله، هو أن عددا كبيرا من علماء تلمسان قد قاموا عبر العصور التاريخية المختلفة بالعديد من الرحلات إلى المشرق، لأسباب دينية وعلمية. فمنهم من استقر بإحدى الحواضر المشرقية وتقلد فيها مناصب عليا، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر، الشاعر محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله التلمساني المتوفى 1289 م، هاجر والده إلى المشرق، واستقر بالقاهرة، حيث ولد ابنه محمد، ثم انتقلت العائلة إلى بلاد الشام، فاستقرت بدمشق، وتولى محمد منصب المحافظ على الخزانة بدمشق، وبقي كذلك إلى حين وفاته، ودفن بمقبرة الصوفية بدمشق (مشاهير، المرجع السابق، ص297).

. ابن مرزوق الحفيد التلمساني توفي 1438 م، انتقل إلى مصر، فأخذ العلم عن سراج الدين البلقيني وأبي الفضل العراقي والفيروز وغيرهم، وأجازه في المشرق شيوخ، منهم أبو القاسم محمد الخشاب ومحمد علي الحفار الأنصاري ومحمد

تاريخ الارسال: 2020/06/15

تاريخ القبول: 2020/06/17

تاريخ النشر 2020/12/25

القيجاطي، ولقي الإمام ابن حجر وأخذ عنه (مشاهير، نفسه، ص-486).

وقد اتخذ العلماء الجزائريون بعد أن عرفت الحياة الثقافية ركودا في بلدان المغرب، الأقطار المشرقية، لاسيما مصر، قبلة لهم، "لكونها كانت منذ ظهور المذهب المالكي، منبعا لمعظم المؤلفات المتداولة بينهم في الفقه المالكي (مسعود، 1979، ص46). فهناك عدد كبير من العلماء والطلبة، الذين زاولوا تعليمهم بالأزهر (عبد الرحيم، 1982، ص99). ومنهم من تقلد مناصب عليا، كالتدريس، والإفتاء. ونذكر منهم، أحمد المقري التلمساني توفي 1631 م، الذي يعد من مشاهير علماء الجزائر، قيل عنه أنه كان آية في علم الكلام والتفسير والحديث، رحل إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، فزار القدس ودمشق، واستقر بالقاهرة وتزوج بها. وكانت حياة المقري العلمية في المشرق حافلة بالنشاط، فقد ألف معظم كتبه هناك، ولاسيما موسوعته "نفح الطيب". وكانت له اتصالات بالوجهاء والعلماء، أمثال

المفتي عبد الرحمن العمادي، وأحمد بن الشاهين، واشتغل مدرسا في الأزهر والجامع الأموي بدمشق (الحفناوي، 1991، ص51).

الخاتمة:

وإذا أتينا إلى تقييم العلاقات الثقافية بين تلمسان والحواضر الإسلامية، فإن الظاهرة البارزة، هي أن العلماء المغاربة والأندلسيين، كانوا يشكلون مدرسة واحدة منذ أقدم العصور، فهناك التكامل فيما بينهم. كما أن العلاقات الثقافية بين الأقطار الثلاثة لم تتأثر طوال العهود بالتوترات والخلافات التي كانت تحدث من حين لآخر. فإذا كانت قضية الحدود والأهداف الاقتصادية والاستراتيجية تمثل هاجس الحكام المغاربة في معظم الفترات التاريخية، فإن هذه الدوافع والمرامي، لم تكن تخطر في بال شعوبهم، لاسيما العلماء والمثقفين بصفة عامة، الذين لم يتقيدوا بفكرة الحدود عبر المراحل التاريخية المختلفة، وحتى في تلك الفترات التي وصلت فيها العلاقات السياسية إلى ذروة التوتر. فكانوا يعتبرون الأقطار المغربية وحدة

تاريخ النشر 2020/12/25

تاريخ القبول: 2020/06/17

تاريخ الارسال: 2020/06/15

موقعها الجغرافي، الذي جعلها قريبة من حواضر المغرب الأقصى العلمية مثل فاس حيث وجود جامع القرويين، والحواضر الأندلسية، مثل غرناطة وقرطبة وأشبيلية، فهناك ترابط قوي بين علماء تلمسان بعلماء وعلماء تلك الحواضر. كما أن الموقع جعل من تلمسان محطة عبور والإقامة لمعظم العلماء المترددين على المشرق لأغراض دينية وعلمية وغيرها.

ولا ننسى عاملا مهما شجع على ازدهار الحياة العلمية والفكرية في تلمسان، هو ذلك التنافس الموجود بين حكام الحواضر المغاربية والأندلسية في المجال العلمي، الذي تجلت مظاهره في تشييد المدارس والمراكز العلمية المختلفة، والجهد المبذول من قبل الحكام لجلب العلماء إلى حواضرهم.

قائمة المصادر والمراجع:

متكاملة، مرتبطة بالمشرق العربي بروابط الدين واللغة والتاريخ المشترك. وقد لاحظنا كم من عالم مغاربي ترك بلاده ليستقر ببلد شقيق في المغرب أو في المشرق أو حتى في الأندلس، بل هناك من دفن بعيدا عن بلاده وأهله، ولم يكونوا يشعرون بالغربة. فكانوا يعتبرون أنفسهم بين ذوبهم أينما حلوا، فمنهم من تزوج وانصهر في مجتمع غير مجتمعه.

وهنا يصدق القول القائل إن العلاقات الثقافية تعتبر أفضل السبل لتقارب الشعوب، فهي في نظرنا تأتي قبل العلاقات السياسية والاقتصادية، التي غالبا ما تكون ظرفية، لكونها مبنية على المصلحة المادية، فبمجرد ما تتحقق تلك المنفعة، تزول تلك العلاقات، عكس العلاقات الثقافية التي تمتد جذورها إلى أعماق التاريخ، فهي بمثابة جسور صامدة عبر الدهر في وجه كل تقلبات، فهي تقوي وتمن روابط الاتصال والتواصل عبر الأجيال.

وما ساعد تلمسان على أن تكون مركزا ثقافيا ففي المغرب الكبير وفي عالم المتوسط عموما، هو

- | تاريخ النشر 2020/12/25 | تاريخ القبول: 2020/06/17 | تاريخ الارسال: 2020/06/15 |
|--|---|---|
| - ابن قنفذ القسنطيني، كتاب الوفيات، تحقيق عادل النويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1980. | - بن قرية، صالح، عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين، م.و.ك: الجزائر 1995. | - بن قرية، صالح، عبد المؤمن بن علي موحد بلاد المغرب، منشورات وزارة الثقافة والسياح، الجزائر. |
| - الجابري، محمد صالح، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962، الدار العربية للكتاب، و ش.و.ن.ت. الجزائر 1983. | - بن معمّر، محمد، "مركز تلمسان الثقافي من أجادير الإدريسية إلى تجارات المرابطة"، في مجلة حولية المؤرخ، يصدرها اتحاد المؤرخين الجزائريين، العدد 3/4، الجزائر 2005. | - ابن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة عبد الرحمن حميدة، سلسلة التراث، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة 2005. |
| - حاجيات، عبد الحميد، "ابن خلدون في بجاية"، في مجلة الأصالة، العدد 19، الجزائر 1974. | - ابن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة عبد الرحمن حميدة، سلسلة التراث، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة 2005. | - بالحميسي، مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1979. |
| - حاجيات، عبد الحميد، أبو حمو موسى الزباني، حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1974. | - بن معمّر، محمد، "مركز تلمسان الثقافي من أجادير الإدريسية إلى تجارات المرابطة"، في مجلة حولية المؤرخ، يصدرها اتحاد المؤرخين الجزائريين، العدد 3/4، الجزائر 2005. | - بالحميسي، مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1979. |

- | تاريخ النشر 2020/12/25 | تاريخ القبول: 2020/06/17 | تاريخ الارسال: 2020/06/15 |
|---|---|---|
| أبو القاسم سعد الله، المكتبة الوطنية الجزائرية
1987. | - الحفناوي، أبو القاسم، تعريف الخلف برجال
السلف، تقديم رؤوف الحسني، موفوم للنشر
2 ج. الجزائر 1991. | - الحفناوي، أبو القاسم، تعريف الخلف برجال
السلف، تقديم رؤوف الحسني، موفوم للنشر
2 ج. الجزائر 1991. |
| - القيرواني، أبو العرب محمد، طبقات علماء إفريقية
وتونس، تقديم وتعليق علي الشابي ونعيم حسين
نعيم اليافي، الدار التونسية للنشر، تونس 1968. | - حركات إبراهيم، التيارات السياسية والفكرية
بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية،
مطبعة الدار البيضاء، المغرب 1985. | - حركات إبراهيم، التيارات السياسية والفكرية
بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية،
مطبعة الدار البيضاء، المغرب 1985. |
| - القلصادي، أبو حسن علي، رحلة القلصادي،
تقديم أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس
1078. | - حمودة بن محمد بن عبد العزيز، كتاب الباشي،
تقديم وتعليق محمد ماضور، الدار التونسية للنشر،
تونس 1970. | - حمودة بن محمد بن عبد العزيز، كتاب الباشي،
تقديم وتعليق محمد ماضور، الدار التونسية للنشر،
تونس 1970. |
| - الزباني، محمد بن يوسف دليل الحيران وأنيس
السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق
المهدي ابو عبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،
الجزائر 1979. | - نورالدين، عبد القادر، صفحات في تاريخ
الجزائر من أقدم العصور إلى انتهاء العهد
التركي، نشر كلية الآداب، الجزائر 1965. | - نورالدين، عبد القادر، صفحات في تاريخ
الجزائر من أقدم العصور إلى انتهاء العهد
التركي، نشر كلية الآداب، الجزائر 1965. |
| - سعد الله، أبو القاسم، أبحاث وأراء في تاريخ
الجزائر، دار الغرب الإسلامي ط2، ج2، بيروت
1990. | - الغبريني، أبو العباس، عنوان الدراية فيمن عرف من
العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق محمد بن
أبي شنب، دار البصائر، الجزائر 2007. | - الغبريني، أبو العباس، عنوان الدراية فيمن عرف من
العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق محمد بن
أبي شنب، دار البصائر، الجزائر 2007. |
| - سعد الله، أبو القاسم، "مدارس الثقافة العربية في
المغرب العربي 1830-1954"، في مجلة الثقافة،
العدد 79، الجزائر 1984. | - الفكون، محمد بن عبد الكريم، منشور الهداية في
كشف حال من ادعى العلم والولاية، تقديم وتعليق | - الفكون، محمد بن عبد الكريم، منشور الهداية في
كشف حال من ادعى العلم والولاية، تقديم وتعليق |

- تاريخ الارسال: 2020/06/15 تاريخ القبول: 2020/06/17 تاريخ النشر 2020/12/25
- الطمار، محمد، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2007.
- عبد الرحيم، عبد الرحمن، المغاربة في مصر في العهد العثماني 1517-1797، ديون المطبوعات الجامعية، الجزائر 1982.
- مجهول، كتاب غزوات عروج وخير الدين، تعليق نورالدين عبد القادر، مطبعة ردوسي قدور، الجزائر 1934.
- مزين، محمد، "المصادر والوثائق المغربية المتعلقة بالجزائر في العهد العثماني الأول والقرنين 16 و17م"، في مجلة الدراسات التاريخية، العدد 9، 1995.
- مقالتي، إبراهيم، الدلالة في تاريخ علماء أمشدا، الجزائر 2005.
- معجم مشاهير المغاربة، تنسيق أبو عمران الشيخ، تقرير ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر 1995.
- مسعود، العيد، "العلاقات الثقافية بين الجزائر والمشرق في العهد العثماني"، في مجلة سيرتا، جامعة قسنطينة العدد 1، السنة 1979.
- الورثياني، الحسين بن السعيد، نزهة الأنظار في علم التاريخ والأخبار، المشهورة بالرحلة الورثيانية، القرن 12 هـ/18م، مخطوط رقم 2743، المكتبة الوطنية الجزائرية.
- هلال، عمار، "العلماء الجزائريون في فاس فيما بين القرنين العاشر والعشرين الميلاديين"، في مجلة الدراسات التاريخية، العدد 9، الجزائر 1995.
- هلال، عمار، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1995.
- BROSSELDARD, CH. «Les Inscriptions orales de Tlemcen Tombeaux des familles El Makari et El Okbani », In R.A.N°5, Alger1861.

تاريخ النشر 2020/12/25

تاريخ القبول: 2020/06/17

تاريخ الارسال: 2020/06/15